عالم آخر

رحلة في حياة أهل القرآن

عبد الرحمن محمد عسيري

١٤٤٥ - ٢٠٢٤

محفوظة
جميع الحقوق

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

في كل مرةٍ ألتقي به يكون القرآن حاضرًا، ولا أذكر أني جلست معه لحظة من اللحظات إلا وظفرت منه بفائدة جديدة، استفدت منه كثيرًا، فله الفضل الكبير بعد الله عَزَّوَجَلَّ، وله مني خالص الحب والدعاء.

أعلم أن حروفي هذه سيكون من أول قارئيها وعارفيها، وأعلم أيضا أنه لا يُحب أن يُذكر اسمه، وإن كان يستحق أن أُصَدِّر به كتابي هذا، ولكني أنزل عند رغبته، وأقول:

إليك يا صاحبي ،، أهدي هذا الكتاب.

❊❊❊

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدِّمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على من أرسله ربه بالآيات، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه ما دامت الأرض والسماوات، أما بعد:

فإن العيش مع القرآن نعيمٌ لا يُعادله نعيم، وفخرٌ يتصاغر عنده كل فخر، ومن عاش مع القرآن وجد حياةً أخرى ولا بد، فأهل القرآن لهم شانٌ وللناس شأن، إنهم يعيشون في عالم آخر، مليءٍ بالبركة والسكينة والتطمين والتثبيت.

القرآن عالمٌ يأسرك منذ أول وهلة، يُلقي طُعمه لك فتعلَق بشراكه، إنه عالَمٌ يُجسِّد لك قيمًا كثيرة من الأخلاق والأدب، تراها بعينك وتعيشها واقعا ملموسا، وتتقمص شخصية أصحابها.

القرآن منظومةٌ قيميَّةٌ متوضئة، تبني الفضيلة ولا تهدمها، فكم نحن بحاجة للدخول في هذا العالم والاستيطان فيه، وننتشل أجيالنا من هذا الركام الغثائي الكبير.

ها هي تذكرة الرحلة جاهزة، ونحن على أُهْبَة الاستعداد، فهيا بنا إلى هـذه الرحلة، والتي أحاول فيها جاهدًا أن أُدخِلك في هذا العالم الآسـر، لنـزور أهله، ونتعرف علـى حياتهم، وما هم عليه، ولنشـحذ الهمم نحو القرآن والتعلق به.

نرشـف من عذبه، ونرتـوي من أنهـاره، ونقطف من بسـتانه أجمل الأزهار والورود.

فدونـك هذا الكتاب الذي كتبه مؤلفه بقلبه قبل بنانه، وباح به وجدانه قبل لسانه، لم يذق في تأليفه نصب أو تعب ؛ لأن القلب أنس به وطرب.

فالحديث عن كتاب الله تعالى أمتع الحديث، والكلام عن أهل القرآن أحسن الكلام.

ولعـل هـذا الكتـاب محاولة جادة لإبـراز حياة أهل القـرآن وما هم عليـه من الحياة الكريمة، وطيب المعاش، وقد اسـتعرضْتُ لك الآيات والمواقف، وحاولت جاهدًا أن أعلق عليها، وأُثري مشاهدها، وعرضتُ لك في المقابل أثر القرآن وكفايته وهدايته لأهله.

والله المسـؤول أن يمد في أثره، ويضع له القبول، إنه على كل شـيء قدير.

إضاءة (١)

لابد أن يكون لديك يقينٌ لا يتطرقه شك:

■ **أنك مع القرآن حيٌّ وبدونه أنت ميِّت:**

* ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَا﴾ [الشورى: آية ٥٢].

■ **مُبصرٌ وبدونه أنت أعمى:**

* ﴿أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩﴾ [الرعد: آية ١٩].

■ **مُهتدٍ وبدونه أنت ضال:**

* ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَا﴾ [يونس: آية ١٠٨].

❋❋❋

من هم أهل القرآن؟

أهل القرآن هم المُقبلون عليه بكُلِّيتهم، تلاوةً وحفظًا وتدبرًا وعملًا ودعوةً إليه.

أهل القرآن هم المنشغلون به، فلا يهجرونه، ولا يهملونه، ويعيشون في ظله وتحت كنفه.

أهل القرآن هم المتصفون بصفاته، والمتخلقون بخُلُقه، وأعظم من تخلق بأخلاق القرآن هو نبينا محمد ﷺ.

وما أحسن وصف عائشة رضي الله عنها لرسول الله ﷺ حين وصفت خُلُقه بقولها: **"كانَ خُلُقُهُ القُرآنَ"**(١).

وهذا الوصف من الصدِّيقة رضي الله عنها يدلُّ على أنّ القرآن الكريم ليس مجرد كتابٍ يُقرأ ويُحفظ، بل هو منهج حياةٍ يُطبّق على أرض الواقع.

أهل القرآن هم أصحابه، والصحبة تقتضي الملازمة، وكم تأسرني عبارة "صاحب القرآن"، فقد ورد في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: **"يقالُ لصاحِبِ القرآنِ اقرَأ وارقَ ورتِّل كَما كُنتَ ترتِّلُ في الدُّنْيَا فَإنَّ مَنْزِلتَكَ عِندَ آخِرِ آيةٍ تَقْرَؤُهَا"**(٢).

---

(١) صحيح الجامع (٤٨١١).

(٢) صحيح الترمذي (٢٩١٤).

ولا يُمكن أن يوصف الشخص بأنه صاحبٌ للقرآن إلا إذا كان ملازمًا له، وكان خُلقه القرآن.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "صاحب القرآن هو العالِم به، العامل بما فيه، وإن لم يحفظه عن ظهر قلب، وأما من حفظه ولم يفهمه ولم يعمل به فليس من أهله وإن أقام حروفه إقامة السهم"(١).

وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: **"اقْرَؤُوا القُرْآنَ فإنَّه يَأْتي يَومَ القِيامَةِ شَفِيعًا لأَصْحابِهِ"**(٢).

وقراءة القرآن وحدها لا تكفي لحصول الشفاعة به، أو لأن يكون من أهل القرآن، بل لا بد مع القراءة أن يعمل به؛ ويدل لهذا ما جاء في الحديث الآخر أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **"يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ، وَآلُ عِمْرَانَ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ ظُلَّتَانِ سَوْدَاوَانِ بَيْنَهُمَا شَرْقٌ، أَوْ كَأَنَّهُمَا حِزْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ، تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا"**(٣).

فدل الحديث على أن من قرأ القرآن ولم يعمل به لم يكن من أهله، ولا يكون شفيعًا له، بل يكون حجةً عليه.

---

(١) الفوائد (٢/ ١٩٢).

(٢) صحيح مسلم (٨٠٤).

(٣) صحيح مسلم (٨٠٥).

العالم الجميل

قبل أن تصحب القرآن، ادخل عالم أهل القرآن، وتعرف على حياتهم.

* **كيف** يعيشون..؟
* **كيف** هي نظرتهم للحياة..؟
* **وتعاملهم** مع الهموم والأحزان..؟
* **اسألهم:** كيف هي حياتكم مع كتاب ربكم..؟
* **اقرأ تعليقات الحفاظ،** وكيف يواجهون حياتهم، ويداوون جراحهم.

ستخرج بقناعة تامة: أن حياتهم مليئة بالحسن والجمال والتفاؤل والتيسير والحفظ..

بعد علمك بذلك كله ستقول لهم: أين أنتم منا!! خُذونا إلى عالمكم.

* **كيف** لا يكون عالَمُهُم جميلًا وهم أهل الله!
* **كيف** لا يكون عالَمُهُم جميلًا وهم أصحاب القرآن الذي هو مصدر السعادة!
* **كيف** لا يكون عالَمُهُم جميلًا وقلوبهم حيَّة!
* **كيف** لا يكون عالَمُهُم جميلًا وهم يزدادون إيمانًا كل يوم!

* **كيف** لا يكون عالَمُهُم جميلًا وهم يروون عطشهم كل يوم!
* **كيف** لا يكون عالَمُهُم جميلًا وهم لا يشعرون بألم الوحدة، أو قلق دقائق الانتظار!
* **كيف** لا يكون عالَمُهُم جميلًا وقد أغناهم القرآن!
* **كيف** لا يكون عالَمُهُم جميلًا وهم أسعدُ الناس!

وفي رحلتنا إلى هذا العالم الجميل والدخول فيه، نريد أن نتعرف عليه، ونشهد مشاهد الخير والنعيم لساكنيه، لنرى حقًّا هل هو عالمٌ آخر أم لا؟

❊❊❊

الميلاد الجديد

* كم من شاردٍ عن الله عاد للحياة من طريق القرآن!
* وكم من غافلٍ ردته آية من كتاب الله تعالى!
* وكم من غارقٍ في بحار الجهل والظلام أنقذته آيةٌ من كلام ربه جَلَّ وَعَلَا!
* إن أثر القرآن في حياة العالمين مبهرٌ للقلوب والعقول.
* كُلُّ الذين عادوا للحياة من جديد كان القرآن طريقهم..
* كُلُّ الذين تغيرت حياتهم واقتربوا من ربهم كان القرآن طريقهم..
* كُلُّ الذين رَقَّت قلوبهم، وتهذبت أخلاقهم كان القرآن طريقهم..
* القرآن ينقل صاحبه من عالمٍ بائسٍ إلى عالمٍ يَفيضُ بهاءً وجمالًا.
* ﴿يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٦﴾ [سورة المائدة: آية ١٦].
* حدثني عن عمر الفاروق قبل القرآن وبعده..
* حدثني عن جبير بن مطعم وما حصل لقلبه بعد أن سمع من رسول الله آيات الطور..

* **حدثني عن سجود المشركين** حين استمعوا لقراءة رسول الله لأواخر سورة النجم..

* **حدثني عن التأثير** .. أحدثك عن القرآن ..

* **حدثني عن الحياة والولادة من جديد** .. أحدثك عن القرآن ..

وفي هذا المعنى يقول ابن القيم: "فَلِلرُّوحِ فِي هَذَا الْعَالَمِ نَشْأَتَانِ، إِحْدَاهُمَا: النَّشْأَةُ الطَّبِيعِيَّةُ الْمُشْتَرَكَةُ، وَالثَّانِيَةُ: نَشْأَةٌ قَلْبِيَّةٌ رُوحَانِيَّةٌ، يُولَدُ بِهَا قَلْبُهُ، وَيَنْفَصِلُ عَنْ مَشِيمَةِ طَبْعِهِ، كَمَا وُلِدَ بَدَنُهُ وَانْفَصَلَ عَنْ مَشِيمَةِ الْبَطْنِ، وَمَنْ لَمْ يُصَدِّقْ بِهَذَا فَلْيَضْرِبْ عَنْ هَذَا صَفْحًا، وَلْيَشْتَغِلْ بِغَيْرِهِ."(١).

فإذا أردت أن تولد من جديد، وتحيا حياةً طيبة فعليك بالقرآن، فهو حياة الروح، وروح الحياة، وكم من أناسٍ عاشوا وماتوا ولم تولد أرواحهم؛ لبعدهم عن القرآن.

ذكرت صيدليةٌ نصرانيةٌ أن من أسباب إسلامها هو سماعها قول الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: آية ١٧]، تقول: لا أستطيع وصف شعوري حينها، فكل حياتي الماضية هُدمت أمامي؛ لأنها حياةُ كفرٍ، هنا أعلنت إسلامي(٢).

---

(١) مدارج السالكين (٣/ ٥٦٣).

(٢) صحيفة اليوم الإلكترونية.

وَهَـذا أحَـدُ الدُّعَـاةِ يَعْمَلُ مُشْـرِفًا عَلَى دَعْـوَةِ الْجَالِيَاتِ فِـي إِحْدَى المُـدُنِ، يَقُولُ: كُنْتُ أَذْهَبُ لِمَكْتَبِ الْجَالِيَـاتِ بَعْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ، وَكُنْتُ أَجْلِـسُ فِي مَكْتَبِي لأُرَاجِعَ حِفْظِـي مِنَ الْقُـرْآنِ، وَكَانَ لَدَيْنَا عَامِلٌ نِيبَالِي غَيْرُ مُسْلِمٍ يَقُومُ بِتَنْظِيفِ الْمَكْتَبِ.

فَـكَانَ إِذَا رَآنِي أَقْرَأُ الْقُرْآنَ يَتْرُكُ أَعْمَالَ التَّنْظِيفِ، وَيَجْلِسُ عِنْدِي فِي الْمَكْتَبِ، وَيَسْتَمِعُ لِتِلَاوَتِي.

وَبَعْـدَ عِـدَّةِ أَيَّـامٍ، وَإِذْ بِذَلِـكَ الْعَامِلِ يُخْبِرُنِـي أَنَّهُ يُرِيـدُ الدُّخُولَ فِي الإِسْلَامِ، فَسَأَلْتُهُ عَنِ السَّبَبِ؟

فَقَـالَ: إِنَّنِي حِينَمَا كُنْتُ أَجْلِسُ عِنْدَكَ فِي الْمَكْتَبِ وَأَنْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ أَشْـعُرُ بِرَاحَةٍ كَبِيرَةٍ، لِذَلِكَ عَزَمْتُ عَلَى الدُّخُولِ فِي الإِسْلَامِ الَّذِي سَأَجِدُ فِيهِ رَاحَتِي وَسَعَادَتِي[1].

فإذا كان مجرد اسـتماع آية قلبت حياتهم، فقل لي بربك: كيف بمن أقبل على القرآن بكُلِّيته وعاش معه تلاوةً وسماعًا وتدبرًا وعملًا!

❋❋❋

(١) قصص وعبر؛ لسلطان العمري (ص: ٩، ١٠).

نعمة الاختيار

إن من أعظم علامات اختيار الله لعبده إشغاله بكتابه، فإن الله تعالى قال في كتابه:

* ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَا﴾[فاطر: آية ٣٢].

* وقال أيضا: ﴿وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ١٣﴾ [طه: آية ١٣].

* **قف وتأمل:** ﴿وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ﴾ هنا اختيار.. ويا له من عظيم اختيار!

* ﴿فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ﴾ فمن اختارهم الله بحاجةٍ ماسةٍ إلى الوحي.

* وكأن قوله: ﴿فَٱسۡتَمِعۡ﴾ نتيجة لهذا الاختيار و مثبتٌ له.

ومما تفيده الآية: أن علاقة العبد بالوحي تلاوةً واستماعًا وعملًا وإجلالًا من أجلِّ صور اختيار الله لعبده، وأعظم نعمه عليه، وعلى قدر الارتباط بالوحي يكون الاختيار، كما ينبغي أن يُعلم أن من علامات نسيان الله لعبده إشغاله عن كتابه؛ فانظر إلى حالك وعلاقتك مع القرآن قربًا وبعدًا.

وهي رسالةٌ لمن أكرمه الله بصحبة القرآن:

إن الله قد اصطفاك واختارك من بين خلقه لتكون مسلما، ثم اصطفاك من بين المسلمين لتكون صاحب عقيدةٍ سليمة، ثم اصطفاك من بين أهل العقائد السليمة لتكون من أهل الاستقامة، ثم اصطفاك من بين أهل الاستقامة لتكون من أهل القرآن، لتكون من أهل الله وخاصته، فيجب أن تتذكر دائمًا وأبدًا أن هذه المكانة العليَّة هي اختيارٌ من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، والله جَلَّ وَعَلَا سيُكرم من حصل على هذه المنزلة، ويجعله في أعلى درجات جناته، حيث يُخبرنا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: **"يُقالُ لصاحِبِ القرآنِ اقرأ وارتَقِ ورتِّل كما كنتَ ترتِّلُ في الدُّنيا فإنَّ منزلَكَ عندَ آخرِ آيةٍ تقرؤُها"**(١).

❋❋❋

(١) أخرجه الترمذي (٢٩١٤) وهو في صحيح أبي داود (١٤٦٤).

أَنِرِ الوُجودَ فَقَدْ حَمَلْتَ النُّورا
وَسِواكَ يَحْمِلُ في يَدَيهِ الزِّيرا
وَاْحمَدْ إِلَهًا قَدْ كَساكَ فَضَائِلا
غُرَّ الوُجُوهِ فَلَا تَكُنْ مَغْرورًا
ها أَنْتَ تَرْفُلُ في ثِيابِ نَعيمِهِ
إِيَّاكَ تَطْمَعُ أَنْ تَكُنْ مَشْهورًا
فَتُكَبُّ في نارٍ تَسَلَّلَ حَرُّها
لِلْقَلْبِ يَحْرِقُ غِلَّهُ وَالزُّورا
يا حامِلَ القُرْآنِ أَنْتَ خَليفَةُ
الرَّحْمَنِ فابْدَأْ في المَلا تَعْميرًا
رَتِّلْ عَلى سَمْعِ الزَّمانِ مَثانِيًا
مِنْ سورَةِ الأَنْفالِ أَوْ بِالشُّورى
فالكَونُ كُلُّ الكَونِ يَرْقُبُ فَجْرَنا
قَدْ مَلَّ هَذا الكَون قَومًا بورًا

❋❋❋

نورٌ يضيء الدروب

القرآن الكريم هبةٌ من الله الكريم، يملأ قلوب أهله إيمانًا، ويُنيرُ دروبهم في الحياة، ويهديهم فيُخرجهم من الظلمات إلى النور، كتابٌ لا يأتيه الباطِلُ من بين يديهِ ولا مِنَ خَلفِه، تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيد.

* قال الله تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ١﴾ [إبراهيم: آية ١].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "أنزل كتابه على رسوله محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ لنفع الخلق، ليُخرج الناس من ظلمات الجهل والكفر والأخلاق السيئة وأنواع المعاصي إلى نور العلم والإيمان والأخلاق الحسنة"(١).

فما أجمل حياة من جعل القرآن نصب عينيه، وتدبَّرَ معانيه، وعمِلَ بأحكامه.

وما أجمل أن نحرص غاية الحرص في أن نكون من أهل القرآن؛ لنحظى بحياةٍ مباركةٍ، مليئةٌ بالسعادةِ والسكينةِ والنّجاحِ والفلاح، نُنيرُ بهِ دروبَنا، ونُنالُ من اللهِ الأجرَ العظيمَ والجنةَ الخالدة.

(١) تفسير السعدي (ص: ٤٢١).

فلا شك أن من آمن بالقرآن الكريم وعمل به، فقد ملأ الله قلبه إيمانًا واطمئنانًا، وهداه الله في دروب حياته، وأخرجه من الظلمات إلى النور.

وهي رسالةٌ لكل من أراد أن يُضيء حياته وحياة غيره، أن عليك بكتاب الله الذي قال فيه: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾﴾ [النساء: آية ١٧٤].

فاجعل القرآن دليلك وحجتك في كل ما يواجهك في حياتك، سترى أنه النور الذي يُجلِّي لك الحق المبين.

ومتى ما شعرت بالوحشة والتخبط فعليك بالقرآن فإنه نور يضيء دروب الحياة.

❊❊❊

الرضا النفسي المدهش

تقرأ في روح صاحب القرآن طيب الخاطر، وانشراح الصدر، والرضا الذاتي، وإن بحثت عن السبب تجد القرآن يُجيبُك:

* يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾﴾ [طه: آية ١٣٠].

فهو يتلو آيات ربه آناء الليل وأطراف النهار، مما يتسبب له بسكينةٍ في قلبه يتبعها رضا، وقد بينت الآية العلاقة العجيبة بين الرضا النفسي والتسبيح الذي هو جزءٌ من الذكر، وأعظم الذكر القرآن.

وأهل القرآن يعلمون أن التسبيح يُستشفى به من ضيق الصدر، والأوجاع النفسية، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [سورة الحجر: الآيات ٩٧-٩٨].

تأمل كيف جعلت الآية التسبيح يداوى به الأحزان والغموم، وتستطب به النفوس!

إن نفوس أهل القرآن ترتوي بالرضا من ينابيع التسبيح!

فمن إكرام الله لصاحب القرآن أن يمتعه بنفسٍ راضيةٍ مطمئنة.

مـن هنا نتعلم: أنه علـى قدر علاقتك بالذكر والتسـبيح على قدر ما يوهب لك الرضا.

ونتعلم أيضا: أنه بقدر تمسـك العبد بكتاب ربه تكون سـعادة قلبه، ورضا نفسـه، وانشراح صدره، وسكون فؤاده، فبالقرآن تحصلُ السعادة والانشراح والسكون والرضا.

* ﴿ فَٱسۡتَمۡسِكۡ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيۡكَۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [الزخرف: الآيات ٤٣-٤٤].

❊❊❊

إضاءة (٢)

■ **كان مالك بن دينار يقول:**

"**يـا أهـل القرآن**، مـاذا زرع القـرآن في قلوبكـم؟! فإن القـرآن ربيع القلوب كما أن الغيث ربيع الأرض"

حلية الأولياء

❋❋❋

شمسٌ ثانية

الشمس في كبِد السماء تُشرقُ فيعم سناها الكون نورًا وضياءً وبهجةً وسرورًا، ترى الحُسن والبهاء، والجمال والإجلال.

يا له من مظهرٍ آسر وفاتن للعقول، يُظهر مظهرًا من مظاهر قدرة العظيم سبحانه، حين يتجلى هذا الخلق العظيم لهذه الشمس العظيمة والتي قد أقسم الله بها في كتابه.

غير أن هناك شمسًا أخرى، إشراقها حياة، وضياؤها بهاء، تلك "شمس القرآن"؛ تشرقُ في قلب المؤمن فتشع على الجوارح نورًا في قولها وعملها وحياتها، فبها تسمو الروح، وتطمئن النفس، وتُبصر معالم الخير والشر، فيتعلق ذلك القلب بالله، ولا يخشى سواه، ولا يرجو إلاه، فمماته لله رب العالمين ومحياه.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَا﴾ [الشورى: آية ٥٢].

"**جمع بين الروح الذي يحصل به الحياة،** والنور الذي يحصل به الإضاءة والإشراق، وأخبر أن كتابه الذي أنزله على رسوله صلى الله عليه

وآله وسلم متضمن للأمرين، فهو روح تحيا به القلوب، ونورٌ تستضيء وتشرق به، كما قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: آية ١٢٢]"[(١)].

إن القرآن ليصنع في القلب عجب العجاب، فمتى قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة، والروعة والمهابة، تقشعر منه الجلود، وتنزعج له القلوب، وبه تستبشر النفوس وتنشرح الصدور، فأثر القرآن على قارئه ومتأمله يكون على الظاهر والباطن، فتارةً تذرف العيون، وتارةً توجل القلوب، وتارةً تقشعر الأبدان، إلى غير ذلك من الآثار المبهرة الحسية والمعنوية.

* يقول الله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الزمر: آية ٢٣].

ولو نزل هذا القرآن على الجبل القاسي لخشع وتصدع من خوف الله عَزَّوَجَلَّ، فكيف لو نزل في قلب العبد المؤمن!!

* قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الحشر: آية ٢١].

(١) إغاثة اللهفان (١/ ٣٠).

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فإن هذا القرآن لو أنزله على جبل لرأيته خاشعًا متصدعًا من خشية الله أي: لكمال تأثيره في القلوب، فإن مواعظ القرآن أعظم المواعظ على الإطلاق، وأوامره ونواهيه محتوية على الحكم والمصالح المقرونة بها"[1].

❊❊❊

(١) تفسير السعدي (١/ ٨٥٣).

غيث القلوب

حيـن ينـزل الماء على التربة الطيبة فإنها تسـتقبله أحسـن اسـتقبال، فتفيض بالخيـر، وتُخرج الخير ﴿وَٱلۡبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخۡرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦ﴾ [الأعراف: آية ٥٨].

وإذا كان الغيـث يصنع في الأرض ما يصنـع، فكيف بغيث القرآن في قلب صاحبه!

كيف بغيث الله في روحه، وجسده، وبيته، ودراسته، ورزقه، وحياته!

فمتـى دخـل القلب الطيب ذلـك الغيث آمـن به وثبـت الإيمان فيه وازدانت حياته وآخرته.

إن القلـب الطيب إذا نزلت عليه أمطـار القرآن من الأوامر والزواجر والمواعـظ والهدايـات أثمـر ذلـك في القلب ثمـراتٍ أعظـم وأجلَّ من ثمـرات الأرض الطيبـة إذا ما نزل عليها المطـر، فيُثمر في القلب الإيمان بـالله، وامتثال أوامـره، واجتناب نواهيه، مع تزكيـة النفس وتطهيرها من الأدناس والمعايب.

ومن أعظم أسباب زيادة الإيمان قراءة القرآن:

* يقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال: آية ٢].

فكلما كان الإنسان أكثر تلاوةً وصحبةً للقرآن، كلما حصل لقلبه من الإيمان وانشراح الصدر ونور الوجه والقلب ما الله به عليم.

❊❊❊

الحياة الميسرة

أهل القرآن حياتهم ميسرة، مليئة البركة، يرون نورًا في حياتهم، يُضيء دروبهم، ويُصلح بالهم وحالهم، يهتدون به، يلمسون بركته في عيشهم، وسائر أمورهم.

قال بعض السلف: "كلما زاد حزبي من القرآن زادت البركة في وقتي، ولا زلت أزيد حتى بلغ حزبي عشرة أجزاء".

قال إبراهيم بن عبد الواحد المقدسي موصيًا الضياء المقدسي: "أكثر من قراءة القرآن، ولا تتركه، فإنه يتيسر لك الذي تطلبه على قدر ما تقرأ". قال الضياء: "فرأيت ذلك وجربته كثيرًا، فكنتُ إذا قرأتُ كثيرا تيسر لي من سماع الحديث وكتابته الكثير، وإذا لم أقرأ لم تيسر لي"[1].

يُحدث الشيخ المقرئ عبد الرشيد صوفي عن قصةٍ عجيبةٍ حصلت له في المطار تجسد معنى بركة القرآن على صاحبه، وكيف أن التعلق بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ والعيش مع القرآن يكون سببا في تيسير الأمور ونيل البركات.

يقول: كنت في معرض القاهرة واشتريت عدة كتب وذهبتُ للمطار من أجل العودة لبلادي، وكانت هي المرة الأولى التي أسافر فيها

(١) ذيل طبقات الحنابلة (٣/ ٢٠٥).

لوحدي، وليس معي إلا مبلغ التذكرة، فلما وصلت للكاونتر ووضعت الكتب، قال لي الموظف: عليك مبلغ كذا وكذا، مبلغ لم يخطر على بالي، فقلتُ له: أنا ليس لدي مبلغها، فقال: لابد تدفع قيمة شحن الكتب، قلت: ليس عندي، فقال من باب المزاح الجاد: أنا لدي حل: نُسفِّرُكَ أنت ونترك الكتب، أو نُسفِّرُ الكتب ونتركك أنت!

فقلت له: بل أسافر أنا والكتب إن شاء الله.

فقال: أتحداك!

فقلت: وأنا أتحداك أني سأسافر أنا والكتب إن شاء الله.

فما كان من الموظف إلا أن طردني أنا وكتبي، فذهبت للمصلى الذي في المطار وكان الوقت منتصف الليل، والرحلة الساعة السابعة صباحا، فدخلتُ المصلى وأصلي طول الليل، ولا أعرف أحدًا إلا الله، وأسأله وأدعو: "يارب أسافر أنا وكتبي"، "يارب أسافر أنا وكتبي"، فكل الأمور بيدك، وأنت على كل شيءٍ قدير، حتى دخل علينا وقت صلاة الفجر، وأُقيمت الصلاة، فقدموني المصلين من باب أني كنت لابسًا جلبابا، فتقدمت فصليت بهم وقرأت بما فتح الله لي، فلما انتهينا من الصلاة والتفتُّ إذ بضابطٍ كبيرٍ أمامي والدموع تنزل على خديه!!

وكان جـوازي قريبا منـه على الأرض، ولم يكلمني أو يسـلم علي، أخذ الجواز ونظر فيه، ثم شـخص بصره لي قائلا بعد السـلام: يا شـيخ: لازال لديك الوقت حتى تطير طيارتك، فليتك تُمتعنا مرةً أخرى بالقرآن!

فأقـرأ ويزداد بكاءً، أقرأ ويزداد بكاءً، ثم قال لي: تعال معي، فأخذني إلـى مكتبٍ في الأعلى، فظهر لي أنه مدير أمن المطار، ومن حبه وتقديره وتواضعه لم يجلس على كرسـيه الخاص به، إنما جلس أمامي، وطلب لـي الشـاي، وأخذنا الحديـث، ثم سـألني: لماذا لم تخلـص إجراءات الرحلة؟!

فقلـتُ: صـارت لي مشـكلة مع الكتـب والموظف، فأخذ مباشـرةً التلفون وسـأل عـن الموظف، وقال: ائتوني به، فجـاء الموظف ودخل، وأنـا لا أنسـى دخلته علينـا متعجبا وهـو يرتجف من الخـوف، فقال له المدير معاتبا: لم لم تخلص إجراءات الشيخ؟ هؤلاء هم البركة.

فأعطـاه الجواز والتذكـرة وأمره بإنهـاء إجراءاتي، وأعطـاني بطاقة الصعود، وقال لموظفيه: لا أحد يفتش الشيخ، فكلما أصل لبوابة يقولون لي: تفضل سـعادة البيه، وبعضهم قال لي: أنـت الوزير؟! فقلت: لا. أنا معي القرآن!

ويحدثني أحد الأصحاب أنه في إحدى سنوات الدراسة الجامعية كان لديهم أحد الدكاترة المعروفين بالشدة، لدرجة أن الطلاب كانوا يُسمونه بدكتور "أتحداك تنجح"!

وفي اختبار مادته الصعب أذكر أني زدت في قراءتي للورد القرآني، فقرأت أكثر من ثلاثة أجزاء ودخلت الاختبار فكتبت فيه ما تيسر، وتفاجأت بعد الاختبار بزمن يسير أني حصلت على ١٠٠٪ مع علمي أني لا أستحقها، وحين قابلت دكتور المادة قال لي: "والله إني لا أعلم كيف شرح الله صدري لك"!!

إنها بركة القرآن يا قوم..

فبركة القرآن على صاحبه كبيرةٌ جدا، وما تعلق عبدٌ به إلا وجد بركة في نفسه وماله وأهله وشأنه كله ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ﴾[سورة ص: آية ٢٩]. وكلمة (مبارك) نكرة تفيد العموم، فتشمل بركات الحياة جميعا.

❋❋❋

كثير من البيوت تئن وتشتكي كثرة الهموم، وضيق العيش، وقلة البركة، وإذا سألت عن حالهم وجدتهم بعيدين عن كتاب الله سبحانه، فمن بركات القرآن اتساع البيت على أهله وحضور الملائكة وهروب الشياطين وكثرة الخير.

قال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "إن البيت ليتسع على أهله، وتحضره الملائكة، وتهجره الشياطين، ويكثرُ خيره، إذ يُقرأ فيه القرآن، وإن البيت ليضيق على أهله وتهجره الملائكة، وتحضره الشياطين، ويقل خيره، إن لم يُقرأ فيه القرآن"(١).

وكلما كانت قراءتك للقرآن أكثر كانت بركتك في الحياة أكثر، ومن بركات القرآن تلك السكينة التي تخالط قلب القارئ، والتي لا تقدر بثمن، ولا يستطيع الإنسان وصفها، صفاءٌ يهبط، وسكينة ملموسة، وتوترٌ يغادر المكان، ومتى أعطيت القرآن أعطاك، وهي رسالة إلى كل قلبٍ مليءٍ بالأوجاع والهموم والغموم: والله لا تجعل له وردًا من كتاب الله إلا وتشعر أن تلك الأوجاع والآلام طارت من صدرك ورحلت حيث يشاء الله جَلَّ جَلَالُهُ، وما زاحم القرآن شيئًا إلا باركه(٢).

---

(١) سنن الدارمي (٣٣٥٢).

(٢) نقطة التحول (ص: ٦٢-٦٣).

إضاءة (٣)

"ولـمّـا كان هذا الكتـاب (القرآن) بهذه المنزلة، حيـث نزل به أمين السـماء علـى أميـن الأرض، عزمـتُ أن أفني فيـه عمري وأسـتفرغ فيه طاقتي".

القرطبي

❊❊❊

التجارة الرابحة

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ٢٩ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ ٣٠﴾ [فاطر: آية ٢٩].

هذه الآية تُبين أنَّ تلاوة القرآن والاستمرار عليها مع العمل بما فيه تجارةٌ عند الله لن تكْسد، وهذه التجارة هي وعدُ الله جَلَّوَعَلَا لهم من الثواب ومغفرة الذنوب، فيغفر لمن أذنب، ويشكر على اليسير من العمل، فهي أجلُّ التجارات وأعلاها وأحسنها.

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "هذه التجارة لا شكَّ أنها أربح التِّجارات، وأنها أبقى التِّجارات...لأنها في جنَّات عدن؛ أي: في جنَّات إقامةٍ لا ظعن فيها"(١).

فتلاوة القرآن الكريم تجارةٌ رابحة واستثمارٌ أمثل، الحرف بحسنة، والحسنة بعشر والله يُضاعف لمن يشاء، ولا يُفرطُ في هذا الاستثمار إلا مغبون، فاقرأ يا عبد الله فالربح مضمون.

ومع أهمية تلاوة القرآن إلا أنه لابد من تدبره والعمل به:

(١) تفسير العثيمين: فاطر (١/ ٢٠٧).

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: آية ٢٩].

قال الحسن البصري: "وَما تَدَبُّرُهُ إِلَّا اتِّباعُهُ"(١).

القرآن الكريم أعظم كتاب على وجه الأرض، وفيه من الهداية والنور ما يُنير دروب المؤمنين، والتجارة الرابحة في القرآن هي من أفضل الأعمال التي يُمكن للمؤمن أن يقدم عليها؛ فهي تُقربه من الله تعالى، وتُغفر له ذنوبه، وتُجزيه جزاءً عظيمًا في الآخرة.

كتاب الله للأرواح روح
به تحيا النفوس وتستريح
وتمتلئ النفوس به طموحا
وللفردوس يحملها الطموح
يروح بها عن الدنيا بعيدا
وما أسماه حين بها يروح

إن أهل القرآن لهم المكانة العظيمة عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهو يحبهم، ومن حبه لهم يُكرمهم بربحٍ عظيم في الدنيا والآخرة، **من ذلك في الدنيا:**

(١) فضائل القرآن؛ لابن سلام (١/ ٢١٣).

أولا: السعادة والراحة النفسية

يقول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨﴾ [الرعد: آية ٢٨].

فكلما أقبلوا عليه أقبلت السكينة والراحة إليهم.

قيل لأحد العارفين: بقدر كم نقرأ من القرآن؟

قال: بقدر ما تريد من السعادة.

ويقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ٢﴾ [طه: آية ٢].

مفهوم الآية: أنزلناه عليك لتسعد، فالقرآن والشقاء لا يجتمعان.

ولذلك تجد صاحب القرآن إذا ضاقت عليه الدنيا يهرع إلى كتاب ربه تاليا متدبرا؛ لعلمه أنه هو المخرج من كل ضيق، والسبيل لكل سعادة وفلاح، فهو الشفاء للقلوب، والراحة للنفوس.

ثانيا: خاصة الملك.

فأي ربحٍ أعظم، وأي شرف أكبر من أن يكون العبد من خاصة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ومن كان من أهل الله وخاصته، فكيف يشقى، وأنَّى له أن يضيع، كيف ذلك والله معه، والله يحبه، والله يختصه برحمته!

ففي الحديث النبوي الشريف: "إِنَّ للهِ أَهْلِينَ مِنَ النَّاسِ قالوا: يا رسولَ اللهِ، من هُم ؟ قالَ: هم أَهْلُ القرآنِ، أَهْلُ اللهِ وخاصَّتُهُ"(١).

وإذا كان هذا الكرم والحفظ لهم والمعية في الدنيا فكيف يكون في الآخرة!

ثالثا: الأجور الكثيرة.

فهو يجمع الحسنات ويتقرب بها إلى رب الأرض والسماوات.

يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَن قَرأ حَرفًا مِن كِتابِ اللهِ فله حَسَنةٌ، والحَسَنةُ بعَشَرةِ أمثالِها، لا أقولُ ﴿الم﴾ حَرفٌ، أَلِفٌ حَرفٌ، ولامٌ حَرفٌ، وميمٌ حَرفٌ"(٢).

رابعا: رفع شأن أهل القرآن.

فالقرآن يرفع شأن صاحبه ومكانته بين الأنام.

وصدق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ يقول: "إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بهذا الكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ به آخَرِينَ"(٣).

---

(١) صحيح ابن ماجه (١٧٩).

(٢) رواه الترمذي (٢٩١٠)، وقال الألباني: صحيح.

(٣) صحيح مسلم (٨١٧).

فصاحب القرآن يقدم على غيره في الصلاة إمامًا.

يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يَؤُمُّ القَومَ أَقرؤهُم لِكِتابِ اللهِ"(١).

خامسا: نيل وسام الخيرية.

جاء في الحديث الصحيح: "خَيْرُكُمْ مَن تَعَلَّمَ القُرْآنَ وعَلَّمَهُ"(٢).

وأما في الآخرة:

■ أولا: الفوز بالجنة.

فالقرآن يشفع لصاحبه الذي كان يعمل به فيُدخله الجنة.

فقد جاء في الحديث أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: "اقْرَؤُوا القُرْآنَ فإنَّه يَأْتي يَومَ القِيامَةِ شَفِيعًا لأَصْحابِهِ"(٣).

■ ثانيا: الارتقاء في الجنات.

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يُقالُ لصاحِبِ القرآنِ اقرأ وارتَقِ ورتِّل كما كنتَ ترتِّلُ في الدُّنيا فإنَّ منزلَكَ عندَ آخرِ آيةٍ تقرؤُها"(٤).

---

(١) صحيح مسلم (٦٧٣).

(٢) صحيح البخاري (٥٠٢٧)

(٣) صحيح مسلم (٨٠٤).

(٤) صحيح أبي داود (١٤٦٤).

■ ثالثا: رفقة الملائكة.

فقد صح عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: "مَثَلُ الذي يَقْرَأُ القُرْآنَ وهو حافِظٌ له، مع السَّفَرَةِ الكِرامِ البَرَرَةِ"(١).

■ رابعا: إكرام الله له ولوالديه.

فقد ورد في الحديث عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَتَعَلَّمَهُ وَعَمِلَ بِهِ أُلْبِسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَاجًا مِنْ نُورٍ ضَوْءُهُ مِثْلُ ضَوْءِ الشَّمْسِ، وَيُكْسَى وَالِدَيْهِ حُلَّتَانِ لاَ يَقُومُ بِهِمَا الدُّنْيَا فَيَقُولانِ: بِمَا كُسِينَا؟ فَيُقَالُ: بِأَخْذِ وَلَدِكُمَا الْقُرْآنَ»(٢).

❋❋❋

(١) أخرجه البخاري (٤٩٣٧)، ومسلم (٧٩٨).

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٢١١٦) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه.

التثبيت لأهل القرآن

أهـل القرآن يعلمون جيدًا أن أخطر قضية يعاني منها المسـلمون هي الثبات على دين الله عَزَّوَجَلَّ، خصوصًا مع هذه الفتن الكثيرة والمنتشـرة في هـذا الزمن، فالناكصون على أعقابهم قد كثروا، والسـالكون على طريق الحـق قد قلوا، ويعلمون أيضا أن من أعظم وأقوى وسـائل الثبات على الطريق الصحيح هو القرآن:

* قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان: آية ٣٢].

* وقـال أيضـا: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [النحل: آية ١٠٢].

فتجدهـم مُقبليـن عليـه، مُتعلقيـن بـه، حريصين غايـة الحرص في التمسك به، والموت على نهجه.

وجاء في الحديث أن رسـول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**أَبْشِـروا أَبْشِروا، أَلَيْسَ تَشْهَدونَ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وأني رَسولُ اللهِ؟**»، **قالوا : نعم ، قال: «فإِنَّ هَذَا القُرآنَ سَـبَبٌ طَرَفُهُ بِيَدِ اللهِ ، وَطَرَفُهُ بِأَيْديكُم فَتَمَسَّـكوا بِهِ ، فَإِنَّكُم لَنْ تَضِلُّوا وَلَنْ تَهلِكوا بَعدَهُ أَبَدًا»**[1].

(١) أخرجـه ابـن أبي شـيبة في المصنـف (١٠/ ٤٨١)، وابن حبـان في صحيحـه (١/ ٣٢٩ برقم: ١٢٢)، وحسنه الأرناؤوط، ومعنى "سبب": حبل.

فمن أراد سيرًا مأمونا إلى الله عَزَّوَجَلَّ، وثباتًا على صراطه المستقيم؛ فعليه بالقرآن: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾﴾ [التكوير: الآيات ٢٧-٢٨].

ومن يتأمل سير السلف الصالحين يجد عنايتهم بالقرآن حاضرة في صباحهم ومسائهم، هو حياتهم، هو زادهم، هو غذاؤهم، هو طيب عيشهم، ونهج حياتهم.

تقرأ مثلا في سيرة شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكيف كانت علاقته مع الذكر والقرآن:

يحدثك عن ذلك ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ **بقوله:** "وحضرتُ شيخ الاسلام ابن تيمية مرة صلى الفجر، ثم جلس يذكر الله تعالى إلى قريب من انتصاف النهار، ثم التفت إلي وقال: هذه غدوتي، ولو لم أتغد الغداء سقطت قوتي أو كلامًا قريبًا من هذا"(١).

ويقول أبو الحجاج المزي: ما رأيتُ مثل ابن تيمية، ولا رأى هو مثل نفسه، وما رأيتُ أحدًا أعلمَ بكتاب الله وسُنَّة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا أتبع لهما منه"(٢).

---

(١) الوابل الصيب (١/ ٤٢).

(٢) الرد الوافر؛ لابن ناصر الدين (ص: ٢٤).

وقال محمد بن عبدالهادي: ختم ابن تيمية القرآن مدة إقامته بسجن القلعة ثمانين أو إحدى وثمانين ختمة، انتهى في آخر ختمة إلى آخر سورة "اقتَربَتِ السَّاعَة": ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر: الآيات ٥٤-٥٥]، كان ابن تيمية يقرأ كل يوم ثلاثة أجزاء، ويختم في عشرة أيام"[1].

فالقرآن الكريم يعدُّ مصدرًا عظيما لقوة المؤمنين وثباتهم؛ لأنه كلام الله جَلَّوَعَلَا الذي يُنير القلب والدرب ويثبت الإيمان ويقوي العزيمة.

ولذلك تجد أهل القرآن الذين عاشوا معه تلاوةً وتدبرًا وفهمًا وعملاً وتعليمًا عليهم مسحة من النور والضياء والسكينة التي لا تفارقهم أبدا فيتعاملون مع الأحداث على غير باقي البشر، فلهم شأن وللناس شأن؛ لأن لديهم قوة عجيبة في القلب «قوة الوحي» التي تجعلهم يصمدون أمام هذه الابتلاءات.

❋❋❋

(١) العقود الدرية (ص: ٣٨٤).

إضاءة (٤)

"لا تَجْعَلْ هَمَّكَ قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ، بَلْ اجْعَلْ هَمَّكَ تَدَبُّرَهُ وَتَفَهُّمَهُ، فَإِنَّ الْمُؤْمِنَ لاَ يُشْبَعُ مِنْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ"

سهل بن عبد الله التستري

❊❊❊

نظرة أهل القرآن

إن لأهل القرآن نظرة تختلف عن كثير من البشر، فهم ينظرون للحياة بعين التفاؤل، ويؤمنون أن المستقبل مشرقٌ وواعد، وأن الله معهم، ولن يُضيع أجر من أحسن عملًا.

فهم يتمتعون بالتفاؤل والأمل، مهما واجهوا من تحدياتٍ وصعوباتٍ في حياتهم، فهذه النظرة تُقدِّمُ لهم إطارًا شاملًا للعيش برضا وقناعة وسعادة، مما يقودهم إلى النجاح في الدنيا، والفلاح في الآخرة.

إن المتدبر لكلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بانتظامٍ وعمق يُدرك حقًّا عظمة هذا الكتاب، وكيف أنه منهاج حياة، يجني ثماره وعطاياه في حياته.

مما يؤكد هذه النظرة الحسنة: إيمانهم أن كل ما يُصيبهم من خيرٍ أو شرٍّ هو من عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فتجد الرضا والتسليم حاضرًا، مما يُضفي هذا الإيمان على حياتهم السكينة والطمأنينة، ويُخلصهم من الخوف والقلق.

لأن الله تعالى يقول: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ [البقرة: آية ٢١٦].

فكم في هذه الآية من بلسمٍ للجراح، ودواءٍ للأرواح!

آيةٌ تجبر الخاطر، وترسخُ في قلب المؤمن الإيمان بالقضاء والقدر الذي هو أصلٌ من أصول الإيمان العظيمة.

مما يؤكد هذه النظرة الحسنة: شعورهم بالإنجاز، فحين ينتهي أحدهم من ورده القرآني يشعر بإنجازٍ عظيم، كيف لا وقد جمع له من الحسنات الكثيرة، وأروى فؤاده من هذا المورد العذب، وأعطى من وقته لكلام ربه الذي أعانه ووفقه واختاره فأشغله بكتابه.

مما يؤكد هذه النظرة الحسنة: اكتفاؤهم بالقرآن، الذي يُغنيهم عن كل صاحب؛ لأنه الصاحب الوفي الذي لا يتبدل، ولا يخذلُ صاحبه، لا في دنياه ولا في قبره و يوم يلقى ربه.

فأيُّ صحبةٍ أعظم شرفا ووفاء من صحبة القرآن!

لسان حالهم:

ما لي وللدُّنيَا وهذا مُصحفي
أتلوهُ في كلِّ الشؤونِ فأكتفي
ماذا أريدُ من الحياةِ وزيفها؟
ما دام عندي صاحبي هذا الوفي

❋❋❋

نعيم المجالسة و المدارسة

إن من أعظم نعم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على أهل القرآن نعمة المدارسة؛ وذلك للأثر الكبير عليهم في حياتهم، وقد كان لمُدارسة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أثرٌ عظيم في جميع جوانب حياته، الإيمانية والعلمية والأخلاقية.

فيالها من رحلة سامية مباركة يخطوها العبد نحو هذا النور الإلهي العظيم، فينهل من آياته معاني الهداية والسمو، ويجني ثمارًا طيبةً تُغذي روحه وتُثري حياته.

وهناك فوائد وثمرات متنوعة من مدراسة القرآن الكريم، تشمل جوانب عديدة في حياة المسلم، إليك بعضا منها:

* **أولا: الاقتداء بالنبي** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هذا النموذج المُحتذى في كيفية تلاوة القرآن، وتدبره، والاستفادة من معانيه، وترجمة ذلك عمليا على أرض الواقع.
* **ثانيا: اليقين بأن القرآن هو كلام الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه،** وأنه صالحٌ لكل زمان ومكان.
* **ثالثا: ترسيخ العقيدة السليمة في نفوس المؤمنين.**

* **رابعا: إدراك وفهم معاني القرآن الكريم:** فالتفسير يوضح ويكشف المعاني الدقيقة والأسرار العجيبة.

* **خامسا: تهذيب النفس وتزيينها بالأخلاق الحسنة:** فهو ينور القلب، ويزكي النفس، ويعلمها الأخلاق الفاضلة، ليكون قدوة حسنةً للمؤمنين.

* **سادسا: زيادة الإيمان:** فكلما أقبل العبد على القرآن، وحرص على حفظه وتلاوته ومدارسته زاد إيمانه، وقوي يقينه، مما يجعله صاحب همة وعزيمة على فعل الخير والدعوة إليه.

* **سابعا: حصول السكينة والطمأنينة:** وهذا أمر معلومٌ ومشاهد، وقد جاء في الحديث عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **"وَما اجْتَمع قَوْمٌ في بَيْتٍ من بُيُوتِ الله، يَتْلُونَ كِتَابَ الله، وَيَتَدَارَسُونَهُ بيْنَهُمْ؛ إِلَّا نَزَلَتْ عليهم السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ المَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَن عِنْدَهُ"**(١).

فمدارسة القرآن ليست عبادةً فحسب، بل هي رحلةٌ إيمانية في سماء العلم والمعرفة والتربية تُثري حياة المسلم وتُنعشه وتجعله يعيش عالما يفيض بهاءً ونورًا وسعادة.

---

(١) صحيح مسلم (٢٦٩٩).

قوة التأثير الدعوي

يُعدُّ أهل القـرآن من أعظم وأقوى المؤثرين في الدعوة إلى الله؛ ذلك لأنهـم يملكون أعظم تأثير روحي عميقٍ على القلوب، وهو القرآن الذي لو نـزل على جبـلٍ لتصدع، فكيف لو نـزل على قلـب المؤمن صاحب الفطرة السوية!

ويتمتع أهل القـرآن بقربٍ خاصٍ من الله تعالى كما ذكرنا ذلك آنفا، وكلما كان قربُ العبد من الله أقوى كان دعوته أكثر وقعا وأثرًا.

كمـا يتمتعون بحُسـن الخُلـق الذي يفتـح قلوب النـاس لهم، فهم يُجسِّـدون معاني القرآن في سلوكهم وأخلاقهم، مما يُضفي على دعوتهم المصداقية والقوة.

ويتمعتون أيضا بقـوة الصبر، لما يواجهونه من تحدياتٍ وصعوبات في دعوتهم، اقتداء بالأنبيـاء عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ الذين ذُكروا في القرآن وكيف أنهم ابتلوا فصبروا وظفروا وكانت العاقبة لهم.

فلا شك أن أهل القرآن لهم الدور الكبير والأثر العظيم في الدعوة إلى الله عَزَّوَجَلَّ، كنشـر الإسـلام، وتعليم الخير: من تلاوة وحفظ، وحث على الفضائل، وتحذير من الرذائل.

والمتأمل لسيرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجد أن أول ما كان يدعو به هو القرآن؛ لأنه أعظم أثرا، وزيادة في العلم والإيمان.

فعن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: **"أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى رَسُولِ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فَتَلَا عَلَيْهِمْ زَمَانًا، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، لَوْ قَصَصْتَ عَلَيْنَا، فَأَنْزَلَ اللهُ** عَزَّوَجَلَّ: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ١﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ﴾ [يوسف: ١ - ٣]، **فَتَلَاهَا عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **زَمَانًا، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، لَوْ حَدَّثْتَنَا، فَأَنْزَلَ اللهُ:** ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا﴾ [سورة الزمر: آية ٢٣] **الآيَةَ، كُلُّ ذَلِكَ يُؤْمَرُونَ بِالْقُرْآنِ"**(١).

وهي رسالةٌ لكل من أراد أن يؤثر في الناس أن عليك بالقرآن، فهو أعظم ما تدعو به، ففيه من الذِّكر والقصص ما هو عبرة وعظةٌ؛ لأنه كلام الله المعجز.

❋❋❋

(١) صحيح ابن حبان (٥/ ٢٣٥).

إضاءة (٥)

"ما خذلَ القُرآن أهله قطّ لا في الدُّنيا ولا في الآخرة!

حتى إذا فارق العبد الدُّنيا، ولُفَّ في كفنه، وأُنزل إلىٰ لحدِه، وأُوسِد في قبره، أتىٰ له القرآن شافعًا"

الشنقيطي

❊❊❊

ماذا قدَّم لهم القرآن..؟

لو قُدِّر لك أن تسأل أهل القرآن عن حياتهم، وأثر القرآن عليهم، لسمعت من الإجابات ما يُدهشك، إذ يتحدثون عما يرونه من فرقٍ مبهرٍ في حياتهم، وفهمهم، وصحة نظرهم، وراحة تفكيرهم واستقراره؛ كل ذلك ببركة القرآن عليهم.

بل يُدهشك أيضًا ويُبهرك حديثهم عن شيءٍ ما، يحسون به، يلمسونه بحواسهم، من قوة في قلوبهم وإرادتهم في فعل الحسنات، والترفع عن السيئات.

هذا القلب الذي قد سكنه نور القرآن، لا يمكن أن يتخلى عنه، فبه حياته وسعادته، ولو ترك صاحب القرآن ورده يوما واحدا، لشعر بشيء ما، يُخبره أن القلب في عطش وبحاجة إلى مورد القرآن.

تلك قلوبهم الحية التي لا تعيش إلا بالقرآن.

وقد يسر الله لي وسألت مجموعة من الأحبة الذين تربوا على القرآن، فعُرفوا به: ماذا قدم لكم القرآن؟! فكانت إجاباتُهم مبهرة حقّا، وقد أجاب ثمانية أشخاص منهم، وإليك إجاباتهم:

١

* **قـدم لـي القـرآن** معرفـة الله تعالـى وحبِّـه والتَّلذذ بتـلاوة كلامه وسماعه، فمن أراد معرفة ربه فليقرأ كتابه..
* **قدم لي القرآن** طمأنينة القلب وراحته..
* **قدم لي القرآن** العلم النافع الذي تُدفع به الشبهات والشهوات..
* **قدم لي القرآن** العمل الصالح الذي به رفعة الدرجات..
* **قـدم لي القرآن** حفظ الوقت الذي هـو العمر و ترتيبه، وألا يضيع في غير فائدة..
* **قـدم لـي القرآن** حُـب الدعوة إلـى الله تعالى وإلى سـبيله ومحبة الخير للناس..

٢

صدقنـي أن هـذا القرآن غيّـر كل شـيءٍ في حياتي علـى تقصير مني وتفريط تجاهه، لكن بقيت بركته وهيبته وإجلاله في حياتي،

فكلما ضعفت نفسي تذكرت:

﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: آية ١٦٣].

وكلما شعُرت بالغربة والوحدة تذكرت :

﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: آية ١١٥].

وكلما التفتُّ إلى الناس أدبتني هذه الآية:

﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾ [الإسراء: آية ٢٥].

وكلما ضاقت علي نفسي اتسعت بهذه الآية:

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾ [الشرح: آية ١].

أخي الحبيب: قسمًا بالله يمّينًا برّه: أن القرآن هو روح الحياة وحياة الروح، وما كان لكتاب الله أن يبلى أو يموت، إنما الذي يبلى ويموت هو شعورنا تجاه هذا القرآن وسطوته.

٣

صدق الله: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: آية ٥٣].

أكرمنا الله وأنعم علينا بكتابه، فله الحمد سبحانه، والثناء الحسن.

قدم لنا القرآن خيراتٍ وخيرات:

* **فلولاه بعد الله** ما قُدِّمنا ولا اعتُبرنا..
* **فُتح لنا به** أبوابا من الخير كثيرة..

* **كان لنا من التيسير به** ما نريد..

* **كان بـه اسـتقرار النفـس،** وطمأنينـة القلـب، وانشـراح الصدر، وصلاح الحال..

* **نُقبلُ على القرآن** فنرى به البركة، والتوفيق والخير..

٤

قـدم لنا القرآن الكريم كل شـيء، قـدم لنا الحياة الطيبة، والسـعادة الحقيقية التي لا تحصل بالمال..

اليوم الذي يخلو من القرآن لا بركة فيه..

٥

القصص والمواقف مع القرآن لا تنتهي.

أنقل لك طرفا من ذلك:

- إذا أردت الذهاب إلى مكة احرص أن أذهب أنا والقرآن فقط.

والله وبالله وتالله لا أشـعر بالخط ولا طوله، وأجد سـعادة وانشراحا وبركة في طريقي.

- مـن ذلـك أيضـا: الأيام التـي لا يكون فيهـا حلقات أشـعر بفراغ

روحي غريب، ثم اكتشف أن الجلسة مع القرآن وفي بيت الله وتعلمه وتدارسه مع الآخرين هو سبب ذلك الشعور الجميل الذي فقدته، من الراحة والانشراح والسكينة والسعادة التي لا يمكن وصفها.

إن أجمل رحلة أرحلها، تلك الرحلة مع القرآن، والجلوس مع آياته، تلاوة وتدبرا، ووالله لو قيل لي هذه تذكرة تسافر بها إلى أجمل الأماكن لتسعد بها بدلا من تلك السعادة لما وافقت!

كيف أبغي بها بدلا والجلوس مع القرآن: تحفنا الملائكة، وتغشانا رحمة الله، وتنزل علينا السكينة، ويذكرنا الله فيمن عنده، ويُغفر لنا في آخر المجلس!

فهل هناك عوضٌ أجمل وأرقى وأسعد وأغلى وأعلى من هذا الفضل العظيم!!

٦

العيش مع القرآن وتدبره أعاد ترتيب مفهوم العلم لديّ، فما ركز عليه القرآن هو من صُلب العلم، وأصبحتُ أركز عليه، وأدعو الناس إليه، ومن ذلك أسماء الله الحسنى، والدار الآخرة، وقصص الأنبياء، فهي لا شك من صلب العلم، لأن القرآن ركز عليها كثيرا ونراها مبثوثةً بشكل كبير.

٧

القرآن الكريم قدَّم لي كل شيء، كل شيء حرفيًّا، أنا لا شيءَ بدون قرآن، كنتُ نكرةً فعزَّني الله بكتابه، وأكرمني بتلاوته، وسترني بحِلمِه ..

العبارات لا تُحيط والله بما قدم لي القرآن .. القرآن نعيم الدنيا والآخرة..

عزٌّ، وفخرٌ، وشرفٌ، وأنسٌ، ولذةٌ، وبركةٌ، ونورٌ، وبهاءٌ، وهالةٌ عظيمةٌ من الضياء، وقد صدق الله: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الأنبياء: آية ١٠]، أي: فيه شرفكم وعزكم.

٨

أجمع ما يمكن أن أُعبر به عن القرآن الكريم، أنه قدَّم لي الهداية، التي هي أساس تكريمي عن كل الكائنات ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: آية ٩].

﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾﴾ [البقرة: آية ٢].

* **قدم لي البرهان على** الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، قدم لي الدليل القاطع على وجوب الانتفاع بسنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فاهتديت بها بعد كلام رب العالمين.

* **قدم لي القدوات العملية من خلال قصص الأنبياء والأمم الإنسانية السابقة**، وقصص الصالحين، والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وبيان منزلة كل من سيسير على المنهج الحق إلى يوم القيامة.
* **قدم لي تصورًا واضحًا للإنسان والكون والحياة**، رسم لي الطريق الصحيح للسعادة في الدنيا والآخرة.
* **قدم لي السعادة منذ صغري** كلما قرأت آيةً أو سورة.
* **قدم لي السعادة** حينما أرى من علَّمتُهم فيغمرني السرور.
* **رزقني الله رزقًا واسعًا**، فقد كان عملي الرسمي في غالبه تعليم القرآن الكريم.
* **أرضى الله به** والدتي وجميع أقاربي ومن يعرفني، وجعلني قدوةً لهم.
* **أصلح الله به** أهلي وأبنائي وبناتي.
* **كان القرآن سلوتي** في مصائبي، وهمومي، وغمومي، نورُ سمعي وبصري وقلبي، وشفاء جسدي.

ماذا أذكر وماذا أدعُ من فضائله؟!

أسأل الله أن يجعل القرآن الكريم شفيعًا لي، ورفعةً في الدنيا والآخرة.

❋❋❋

هذا جزءٌ بسيط من حديث أهل القرآن عن القرآن، فانظر كيف هو أثر القرآن عليهم في قلوبهم وحياتهم وشأنهم كله، فهذه حياتهم وذاك نعيمهم، وتلك مشاعرهم نحو كتاب ربهم، فهل تريد اللحاق بهم في هذا العالم الجميل، والسير في ركبهم!

❊❊❊

الجانب العملي للدخول في هذا العالم

من أراد أن يسكن هذا العالم، ويستمتع بالعيش فيه؛ فليقدم الثمن، لأن السلعة غالية، ومتى كانت السلعة غالية كان الثمن غاليا، وثمن ذلك أن يُقبل العبد بكُلِّيَّته على القرآن، ومن ذلك ما يلي:

أولا: الاهتمام بحفظه:

* **فيبدأُ بحفظِ القرآنِ الكريمِ بانتظام** ولوكان شيئًا يسيرًا، ويُكثِرُ من تلاوتهِ بِتجويده وترتيله.

ثانيا: تدبر معانيه:

* **فيُخصِّصُ وقتًا للتدبّرِ في معاني القرآنِ الكريم**، والتّفكّرِ في دروسِه وعِبَرِه.
* **ومن أجمل التطبيقات المعينة على ذلك:** تطبيق تدارس القرآن، وتطبيق آية.
* **ومن الكتب:** كتاب القرآن تدبر وعمل.

ثالثا: العمل بأحكامه:

* **فيسعى جاهدا لِتطبيقِ تعاليمِ القرآنِ الكريمِ في حياته،** ويجعلهُ منهجًا لِسلوكه.

رابعا: التخلق بأخلاقه:

* **فيُزين نفسه بِخلقهِ الكريم،** ويُحاكي أخلاقهِ الحميدة، ويحرص غاية الحرص على أن يُهذب نفسه بالقرآن.

خامسا: الدعوة إليه وإلى كل خير:

* **فيحرصُ على نشرِ تعاليمِ الإسلامِ،** ودعوةِ الناسِ إلى الخير.

ووالله الذي لا إله غيره، ما أقبل عبدٌ على القرآن بصدق إلا أقبل الله إليه، وأتته الخيرات والفتوحات، فما أعظم أثره، وما أجلَّ بركته.

من أقبل على القرآن وجد حياةً أخرى مليئةً بالخير والبركة والسعادة.

❋❋❋

يا صاحبي

في ختام رحلتنا هذه، إليك بعض الرسائل والوصايا القصيرة:

* **ياصاحبي** .. صدقني أنه لا شيء يأسر نظري كمشهد القرآن بين يدي صاحبه، ولا يجذبُ سمعي شيءٌ مثل صوت التغني بالقرآن.

* **ياصاحبي** .. اقرأ القرآن وأنت تُحبه، لا تقرأه وأنت تشعر أنك ملزمٌ بقراءته،

وأنت تقرأ القرآن استشعر أنه رسالةٌ من الله لك، واستشعر الكم الهائل من الحسنات الكثيرة والثواب الجزيل من الله تعالى.

وأنت تقرأ القرآن استشعر أنه لا يوجد كلامٌ أعظم منه في هذا العالم.

* **يا صاحبي**.. إذا استغنى الناس بالدنيا فاستغن أنت بالله، وإذا فرحوا بالدنيا فافرح أنت بالله، وإذا أنسوا بأحبابهم فاجعل أُنسك بالله، وإذا تعرفوا إلى ملوكهم وكبرائهم وتقربوا إليهم لينالوا بهم العزة والرفعة، فتعرف أنت إلى الله وتودد إليه، تنل بذلك غاية العز والرفعة.

* **يا صاحبي**.. إن زارك الهمُّ والقلق تذكر أن أجلك معلوم، وعمرك محسوم، ورزقك مقسوم، فعلام الهموم!! وتيقن أن ربك ما أغلق على عبدٍ بابا بحكمته إلا فتح له بابين برحمته.

* **يا صاحبي** .. لا تجزع؛ فإن ذلك لن يقدم ولن يؤخر في أمر الله شيئًا، ولو قُدِّر للعبد أن يكتب القدر لنفسه ما اختار إلا ما قدَّره الله عليه، وتذكر دائمًا أن خيرة الله لعبده خيرٌ من اختيار العبد لنفسه.

* **يا صاحبي** .. معيار الإيمان الرضا بالقضاء والقدر ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الحديد: آية ٢٢].

* **يا صاحبي** .. تدبر آي الكتاب، ودع القلق والاكتئاب، من اتصل بالخالق روحًا، وانشغل به تسبيحاً وذكراً، رضي في الدنيا والأخرى ﴿فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾﴾ [طه: آية ١٣٠].

* **يا صاحبي** .. وأنت تقرأ القرآن لا تستعجل حال قراءتك، فكثيرٌ من معانيه لا تظهر لك إلا بالتدبر والتفكر والترسل.

* **"كانت قراءة الفضيل حزينة شهية بطيئة مترسلة كأنه يخاطب إنسانا"**[1].

(١) صفوة الصفوة (١/ ٤٢٨).

* **ياصاحبي** .. من شَبَّ على شيءٍ شاب عليه، ومن شاب على شيءٍ مات عليه، ومن مات على شيءٍ بُعث عليه.

ظل أبو عبد الرحمن السلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يُقرئُ الناس في المسجد أربعين سنة بسبب حديث: **"خَيْرُكُمْ مَن تَعَلَّمَ القُرْآنَ وعَلَّمَهُ"**(١).

وكان يقول: "هذا الذي أقعدني مقعدي هذا"(٢).

* **يا صاحبي** ..إذا كانت سورة الفاتحة شفاء، وقراءة سورة البقرة بَرَكة، وسورة المُلك مُنجية، وسُوَر المُعوّذات حِصْن، وآية الكرسي حافظة من الأذى والشياطين، وآخر آيتين من سورة البقرة كافية صاحبها من كلّ أذى..

فكيف بمن أخذ بالقرآن كلّه تاليًا وحافظًا ومتخلّقًا ..

* **يا صاحبي** .. إذا لم تحفظ القرآن احفظ بعضه، إن لم تحفظ بعضه على الأقل احفظ ما ورد الفضل فيه، إن لم تستطع احفظ ما يجعلك تُقيم صلاتك به، إن لم تستطع اقرأ القرآن، إن لم تستطع استمع للقرآن.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٢٧).

(٢) جامع العلوم والحكم (٢/ ٣٠٠).

* **يـا صاحبي** .. أرجو أن تكون قد اسـتمعت بهـذه الرحلة في عالم أهل القرآن، وأرجو أن أكون قد وُفقتُ لإيصال شيءٍ ما عن حياة أهـل القـرآن، وأرجو كذلـك أن يكون هـذا الكتـاب محفزا لك ومشـجعا للإقبال على هـذا القرآن العظيم والعيش معه، لتسـعد في دنياك وأُخراك.

❊❊❊

إضاءة (٦)

" **فما أشــدها من حســرة، وما أعظمها من غبنة،** على من أفنى أوقاته في طلب العلم، ثم خرج من الدنيا وما فهم حقائق القرآن، ولا باشــر قلبه أسراره ومعانيه".

ابن القيم

❊❊❊

الفهرس

- الإهداء ٤
- مقدمة ٥
- إضاءة (١) ٧
- من هم أهل القرآن؟ ٨
- العالم الجميل ١٠
- الميلاد الجديد ١٢
- نعمة الاختيار ١٥
- نورٌ يضيء الدروب ١٨
- الرضا النفسي المدهش ٢٠
- إضاءة (٢) ٢٢
- شمسٌ ثانية ٢٣
- غيث القلوب ٢٦
- الحياة الميسرة ٢٨
- إضاءة (٣) ٣٣
- التجارة الرابحة ٣٤
- التثبيت لأهل القرآن ٤٠
- إضاءة (٤) ٤٣

- نظرة أهل القرآن ٤٤
- نعيم المجالسة و المدارسة ٤٦
- قوة التأثير الدعوي ٤٨
- إضاءة (٥) ٥٠
- ماذا قدَّم لهم القرآن..؟ ٥١
- الجانب العملي للدخول في هذا العالم ٥٩
- يا صاحبي ٦١
- إضاءة (٦) ٦٥
- الفهرس ٦٦

❊❊❊